فضل العلم والعلماء

ألقيت ضمن فعاليات الدورة العلمية الثانية بمسجد ذي النورين بالمدينة النبوية ١٤٢٣هـ

لفضيلة الشيخ

ربيع بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالىٰ

[أشرطة مفرغة]

أعد هـٰذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّه نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

أما بعد، فيسرّني أن ألتقي بإخواني وأبنائي من طلاّب العلم عبر هــٰذه الوسيلة التي سخّرها الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ والتي نسأل الله أن يوّفق المسلمين للاستفادة منها واستغلالها في نصرة دين الله وتربية الشباب على منهج الله الحق.

هــٰذا اللقاء لا أعدُّه محاضرة وإنما شيء من المذاكرة؛ لأني لم أعدّ هــٰذه المحاضرة -بارك الله فيكم-؛ ولكن ولله الحمد فضل العلم معروف مبثوثة نصوصه، وكلام العلماء فيه مبثوث في السّطور والكتب والصدور، وفضل العلماء كذلك ومكانتهم ومترلتهم عند من يحترم الأنبياء وميراثهم.

فأقول: إنّ الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ أثنى على أهل العلم ومدحهم، وأثنى عليهم ثناء عاطرا في العديد من آياته، وأثنى عليهم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشاد بمكانتهم وبيّن مترلتهم وعرّف حقوقهم، وكذلك عرّف الله حقوق هٰؤلاء العلماء الذين هم قادة هــٰذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وبالعلم الشرعي يميّزون بين الهدى والضلال والحق والباطل والمنكر والمعروف والحلال والحرام.

فضّل الله العلماء وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفاهم فضلا أن يَقْرِنَ الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، قال الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾[آل عمران:١٨].

فقضية التوحيد قضية عظيمة وهي موضوع الصّراع بين الرسل الكرام وبين أعدائه الكفرة اللئام، فأشهد الله نفسَه وأشهد ملائكته وأشهد العلماء في هـٰذه القضية العظيمة أنها حق وأن الله هو المعبود الحق وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهـٰذه منزلة عظيمة للعلماء، ومكرمة نبيلة لهؤلاء النّبلاء.

والعلماء ليس كل من نُسب إلىٰ العلم، لا من الكفرة، ولا ومن أهل البدع والضلال؛ ولكن العلماء بكتاب الله وبسنة رسول الله الملتزمين نصوص القرآن في عقائدهم ومناهجهم وعباداتهم وأحكامهم ومعاملاتهم وسياستهم وسائر شؤون حياتهم، وفي مواقفهم، هٰؤلاء هم العلماء الذين أثنى الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ عليهم، وأنزلهم هـٰذه المنزلة العظيمة، وقال الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ في تمييزهم على غيرهم وتقديمهم على غيرهم وإشادةً بفضلهم ومكانتهم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨]، فخشية الله منزلة عظيمة، وخوفه ومراقبته منزلة عظيمة، هي منزلة الإحسان التي قال فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**أن تعبد الله كأنك تراه**))،[1] فهٰؤلاء العلماء يخشون الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، فيقومون بعبادته على أحسن الوجوه، ويقومون بحقوق الله في سائر شؤون الحياة، ويقومون بحقوق المسلمين أفرادا وجماعات وأُسر يبصِّرونهم بدين الله، ويربطونهم بهذا الدين، ويربونهم التربية الإسلامية الصحيحة على العقائد الصحيحة والمناهج الصحيحة والأخلاق الفاضلة.

هٰؤلاء العلماء هم الذين يخشون اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالىٰ؛ لأن خشية الله ومراقبته تشعرهم بالمسؤولية تجاه أنفسهم، وتجاه البشر، وتجاه هـٰذه الأمة، وتجاه الأسر والأفراد وفي الحقوق والواجبات، فإن هـٰذا العنصر -عنصر خشية الله مراقبته- يدفعهم أن يجاهدوا في الله حق جاهده ويؤدوا هـٰذه الرسالة، ويقوموا بهذه الوراثة التي ورثها عن من اختارهم الله واصطفاهم من أنبيائه ورسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم.

([1]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. حديث رقم (٠٨).

ولا غرابة في ذلك فهم ورّاث الأنبياء بشهادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الأنبياء وخاتمهم صلوات الله وسلامه عليه وهو الصادق المصدوق.

فهم العلماء الذين وصفهم الله وصفهم رسوله وأشرنا على بعض صفاتهم و لم نستوفها، والله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ أخبر أن هــٰذا النوع من البشر يرفعهم الله درجات ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[المجادلة:١١]، فرفعهم الله بهذا العلم الذي يستتبع العمل، لا مجرد العلم، العلم الذي تقوم عليه العقائد الصحيحة والأعمال الصحيحة والأمانة الوافية الكافية في الالتزام بدين الله وتبليغه ونشره.

العلماء يراقبون اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالىٰ ويخشونه ويقومون بالأمانات الملقاة على عواتقهم على أحسن الوجوه ويشعرون بالتقصير ولا يتباهون بهذا العلم، ولا يتفاخرون بأعمالهم، فمن تباهى بأعماله هلك والعياذ بالله، وإنما يعبدون الله بعلمهم وإخلاصهم وصدقهم، متقرِّبين إلىٰ الله بذلك، مع شعورهم بالعجز والضيق والتقصير، مهما قدّموا للأمة من علوم نافعة وجهود صالحة.

فهم دائما ينظرون إلىٰ أنفسهم نظرة النّاقد البصير الذي يستشعر تقصيره في القيام بحقوق الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ.

فإذا شعر العبد أن له فضلا على الناس وأن له منة على الأمة وأن وأن... -نسأل الله العافية- ووقع فيما يسخط الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ.

فالأنبياء والملائكة مهما قدّموا من أعمال يشعرون بأنهم مقصِّرون في حق الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، ولهذا يقول رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد**))،[1] ((**اللهم أغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني**))[2] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فانظروا إلىٰ هــٰذه الضراعة من هــٰذا الرسول الكريم الذي بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة نصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، فأنظروا كيف ينظر إلىٰ نفسه وإلى عمله صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٨٦)، دون ((فلك الحمد)).

(٢) **البخاري**: كتاب الدعوات، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ((اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت))، حديث رقم (٦٣٩٨).

مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧١٩).

ويقول: ((**لو عذب الله عباده لعذبهم وهو غير ظالم لهم**))[١] لأنهم لا يقومون بنعمة الله التي أسبغها عليهم نعم الله الظاهرة والباطنة.

فالعالم يشعر بأن نعم الله لا تحصى، وأنه لا يستطيع أن لأن يقوم بشكر أدنى نعمة من نعم الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، فضلا أن يتباهى بأعماله ويتطاول بها على الناس.

فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من العلماء المؤمنين الصادقين الخاشعين المتذللين بين يدي الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، الشاكرين لأنعمه، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم أن نكون منهم.

ورد حديث في فضل العلم منها قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن معاوية الصحابي الجليل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ((**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**))[٢] فإذا فقّه الله عبدا في دينه وعمل بهذا الفقه فقد أراد الله به خيرا، تفقيهه في دينه وعمله بهذا الفقه وبهذا الوعي وبهذا الإدراك دليل واضح على أنّ الله أراد به خيرا، والفقه في الدين ليس هو الفقه المصطلح عليه والمدون في الكتب التي تسمى بكتب الفقه، هــٰذه ما هي إلا جزء مما يدل عليه هــٰذا الحديث.

فالمراد بالفقه في الدين الفقه في كل جوانب الدين، وفي كل نواحيه، وفي أصوله، وفي فروعه، وفي قواعده وعقائده، هــٰذا هو الفقه؛ فقه السلف، فقه الصحابة، فقه كبار التابعين، فقه أئمة الهدى، الفقه الشامل المصحوب بخشية الله وبالورع وبالزهد في هــٰذه الدنيا، لا مجرد حفظ النصوص، وإنما هــٰذا هو لب الفقه الذي أشرنا إليه.

ويقول الرسول الكريم فيما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ((**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله حكمة فهو يعملها الناس، ورجل آتاه الله المال فسلطه على هلكته في الحق**))[٣] فهٰؤلاء يُغبطون، الحسد هنا هو الغبطة، الحسد المعروف مذموم، وهو أن تتمنى زوال النعمة

---

(١) **سنن أبي داوود**: كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (٤٦٩٩).
سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب القدر، حديث رقم (٧٧).
قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) **البخاري**: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، رقم الحديث: (٧١).
مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم الحديث (١٠٣٧).

(٣) **البخاري**: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، حديث رقم (٧٣).

=

عن هـــٰذا العبد الذي أنعم الله عليه، بمال أو علم أو غيره، تتمنى زوال هـــٰذه النعمة عن صاحبها، سواء لتحوزها أنت أو لمجرد أن تحوّل عنه هـــٰذه النعمة، فهـــٰذا داء اليهود ونسأل الله أن يعافي المسلمين منه، فإنه داء مهلك والعياذ بالله، وإنما المراد بالحسد في الحديث الغبطة، وهي أن تتمنى مثل تلك النعمة التي أنعم بها على فلان، أنعم لله على العبد بالعلم والعمل، فتتمنى أن يوفقك الله ويعطيك من العلم ما آتاه ويوفّقك للعمل كما وفقه، فهـــٰذه الغبطة محمودة، وهي من التّنافس المحمود الذي حثّ الله عليه وأمر به، فقال: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦)﴾[المطففين:٢٦]، فعلى طلاّب العلم أن يتنافسوا في تحصيل العلم، وأن يسارعوا في تحصيل الخيرات، وأن يشمّروا عن ساعد الجد؛ لكن دون حسد، وإنّما هو من باب الغبطة والتنافس وذلك أمر محمود، والتّنافس في أمر الدنيا مذموم ((**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تنافسوا ولا تناجشوا**))[١] فهـــٰذه الصفات كلها مذمومة في أمر الدنيا، هـــٰذه مذمومة في أمر الدين إذا كانت على الحسد المذموم على الوجه المذموم، أما على وجه التنافس فهـــٰذا أمر محمود يحث عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الحديث، فهـــٰذا حثّ من رسول الله لهذه الأمة أن تتنافس في ميادين الخير، في ميادين العلم ويتسابقون فيه، ويتسابقون إلىٰ الصلاة وخير صفوف أولها، ((**ولو يعلمون ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا على لاستهموا عليه**))،[٢] فالتنافس على الصفوف الأولى وعلى الصف الأول بالذات أمر محمود.

فالتنافس في تحصيل العلم والبراعة فيه والتفوق والنبوغ فيه هـــٰذا أمر محمود، ونسأل الله أن يهيئ المتنافسين فيخرجوا في هـــٰذه الأمة من أمثال الأئمة الكبار، من أمثال الأوزاعي والثوري ومالك والشافعي وأحمد وابن تيمية وابن عبد الوهاب وأمثالهم من أئمة الهدى الذين رفع بهم منار الإسلام وهدى بهم الأمم وأضاء بعلمهم جنبات هـــٰذه الدنيا.

=

مسلم: كتاب صلاة المسافرين قصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل با وعلمها، حديث رقم (٨١٦).

(١) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم (٢٥٦٤).

(٢) **البخاري**: كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، حديث رقم (٦١٥).

مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضلها وفضل الأول فالأول...، حديث رقم (٤٣٢).

فتنافسوا أيها الشباب، فإن أمتكم في هـٰذا الأصل في أشد الحاجة إلىٰ النابغين في هـٰذه الشريعة الغراء، إلىٰ الفقهاء في هـٰذا الدين العظيم.

تنافسوا وأمامكم الجامعات الإسلامية، وفيها المناهج العظيمة التي تنشئ العلماء -إن شاء الله- وتفتح الباب على مصراعيه للولوج في أبواب العلم على مختلف مراحلها ومشاربها النافعة.

ويقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاثا على طلب العلم: ((**من سلك طريقا فيه علما يبتغي فيه وجه الله سهل الله له به طريقا إلىٰ الجنة**))[1] هـٰذا يعني وعد عظيم لمن طلب العلم لوجه الله وابتغى به وجه الله.

أحذركم أيها الإخوة أن تدخلوا نوايا الدنيا ومناصبها وجاهها وسلطانها في قضية التعلم وطلب العلم، فإن العلم عبادة من أفضل العبادات؛ بل لا يقوم دين الله ولا تقوم العبادات ولا يقوم الجهاد ولا تقوم الحياة إلا بهذا العلم؛ ولكن علينا أن نخلص في هـٰذه العبادة، ((**من طلب علما مما يراد به وجه الله ليصيب به غرض الدنيا إلا لم يرح رائحة الجنة**))[2] وهـٰذه نقطة مهمة جدا وأمر عظيم ينبغي أن ننبه له طلاب العلم، فإن كثيرا منهم قد يغفلون، وقد يطلبون العلم من أجل الدنيا أو من أجل أغراض أخرى لا يحبها الله و لم يشرعها الله و لم يأذن بها الله فيقعوا في الهالكين، وقد يدخل في ذلكم الذم الذي ذم به الله اليهود ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)**﴾[الجمعة:٥].

وأعيذ نفسي وإياكم من هـٰذه الصفات الذميمة أن يحمل الإنسان العلم ولا يعمل به، فيُسلك في هـٰذه الآية أو يأخذ نصيبا منها، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

ولقد أخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمصير المرائين سواء طالب العلم أو العالم أو المجاهد أو المنفق، الإخلاص أمر عظيم يا إخوتاه يجب أن يراعيه المسلم، وأن يحاسب نفسه في كل لحظة من لحظات حياته؛ بل قال أحد السّلف: إني كنت أرى أن الحديث يحتاج إلىٰ نية وإذا بي أدرك أن كل حديث يحتاج إلىٰ نية.

---

(١) **مسلم**: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم (٢٦٩٩) .

(٢) **سنن ابن ماجه**: كتاب المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، حديث رقم (٢٥٢). قال الشيخ الألباني: صحيح.

يعني هل إذا تحدثت أو تكلمت تريد مدح وثناء الناس عليك، أو تريد بذلك وجه الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ؟ تريد أن يقال عالم وأن يقال: ذكي، وأن يقال: فقيه، وأن يقال: كذا، أو تريد بذلك وجه الله وتؤدي بذلك الأمانة التي احتملتها والمسؤولية التي حُملتها؟

في الحديث: ((**إن أول من تسعر بهم النار ثلاثة، رجل استشهد فيؤتى به يوم القيامة، فيعدد الله عليه نعمه فيقول: ماذا عملت فيها؟ فيقول: جاهدت فيك حتى استشهدت. فيقال: كذبت، إنما فعلت ذلك ليقال: جرئ، وقد قيل**))؛ أشاد به الناس قالوا: مجاهد بطل شجاع مقدام مضحي.. إلىٰ آخره؛ لكن ماذا أفادته هـــٰذه؟ كلا والله، لقد أورد نفسه المهالك برغبته بمثل هـــٰذه المدائح الفراغية التي لا تسمع ولا تغني من جوع، والله لو مدحك أهل الدنيا جميعا بالشجاعة والبطولة، وأنت لا تريد وجه الله لا ينفعك ذلك شيئا، ويلا يدفع عنك غضب الله ولا أليم عقابه.

قال في الحديث: ((**فيؤمر به فيسحب على وجهه فيلقى في النار**))، ما السبب؟ جاهد واستبسل وبذل ماله ونفسه حتى ثم كان هـــٰذا مصيره، ما الذي أدى به هـــٰذه المهلكة؟ هو أنه لم يخلص لله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، والله يقول: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[البينة:٥].

((**ورجل تعلم العلم وعلم، فيؤتى به فيسأله الله، يعدد الله عليه نعمه، ويقول: ماذا عملت فيها؟ فيقول: تعلمت فيك العلم، وقرأت فيك القرآن. فيقال له: كذبت إنما قرأت القرآن ليقال قارئ، وتعلمت ليقال عالم، اذهبوا به إلىٰ النار، فيسحب على وجهه، حتى يلقى في النار**)). والعياذ بالله.

ما الذي أهلكه؟ والله الرياء وعدم الإخلاص لله رب العالمين.

فاحذروا أنفسكم أيها الشباب التي بين جنبيكم، واحذروا الشيطان، واستعيذوا بالله من نزغاته المهلكة ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)**﴾[الأعراف:٢٠٠]، فإذا أحسست من نفسك ميلا إلىٰ مراعاة الناس وإلى المباهاة بالعلم فالجأ إلىٰ الله وتضاءل بين يديه وتذلل بين يديه، واسأله أن يرزقك الإخلاص، وأن ينقذك من الشيطان ومن نزغه وكيده.

ولقد قال أحد العلماء: إن عدوّا يراك ولا تراه لشديد المؤنة، قال عن تفسير قول الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ الشيطان وجنده ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ**﴾[الأعراف:٢٧]، قال: والله إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة؛ يعني أشد من العدو الذي تراه عنده الجيوش والقوة، هـــٰذا العدو الخفي الذي لا تراه شديد المؤنة، يهلكك من حيث لا تدري ومن حيث لا تراه نسأل الله العافية.

((**ورجل جواد أنفق المال في سبيل الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، فيؤتى به، فيقال: ماذا فعلت فيها؟ فيقال: ما تركت من سبيل تحب أن أنفق فيها إلا أنفقت فيها. فيقال له: كذبت، وإنما فعلت هـٰذا ليقال جواد وقد قيل وثم يؤمر به فيسحب إلىٰ النار.**))[1]

لو أنفق هـٰذا مثل الدنيا ذهبا وهو لا يريد بذلك وجه الله، ينفق في أبواب الجهاد وفي بناء المساجد في كذا وفي كذا وفي كذا، ظاهرها أنها أعمالا خيرية والله يعلم سوء سريرته، ولا تنفعه هـٰذه الأموال التي أنفقها، أبدا، لا تغني عنه شيئا؛ بل تكون وبالا عليه، والعياذ بالله.

أنا ركزت على هـٰذا الأمر يا إخواني لأنه أمر خطير، فاستحضروا عظمة الله، واعلم أيها المسكين أنك لو جمعت علوم الأولين والآخرين، والله لن يبلغ علمك قطرة من علم الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، فتضاءل أمام عظمة الله وتواضع لله، واعلم أنه فوق كل ذي علم عليم.

من الأحاديث التي وردت في فضل العلم الحديث الذي رواه أبو الدرداء عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه الحديث نسيت أوليه لأني لم أحضره فسامحوني فيه قال: ((**إن الملائكة لتضع أجنحة طالب العلم رضا بما يصنع، وإنه ليستغفر للعالم ما في البر والبحر، حتى الحيتان في البحر تستغفر له، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**))[2] من أخذ بهـٰذا الميراث أخذ بحظ وافر.

فهنيئا لمن ورث الأنبياء العلم -علم الوحي- الذي أوحاه الله إلىٰ الأنبياء الكرام في الهدى والنور، فيه الفرقان بين الحق والباطل، فيه العقائد الصحيحة، فيه الإخبار عن الجنة والنار وجزاء الموحدين، وجزاء المشركين الضالين وجزاء المطيعين وجزاء الفاسقين العاصين.. إلىٰ آخر ما ذكر الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ في الكتب التي أنزلها الله عن رسله وأنبيائه من عقائد وعبادات وأعمال وأخلاق، لا تقوم الحياة في الدنيا والآخرة إلا علة هـٰذا الميراث الذي أوحاه الله إلىٰ الأنبياء عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

([1]) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، حديث رقم (١٩٠٥).

([2]) **سنن الترمذي**: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم(٢٦٨٢) .

سنن ابن ماجه: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٣) .

قال الشيخ الألباني: صحيح.

أذكر من فضل العلماء ما نبه عليه ابن القيم وغيره من أهل العلم أن قول الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:٥٩]، السلف فسّروا ﴿أُوْلِي الأَمْرِ﴾ بالأمراء وبعضهم فسره بالعلماء، والصواب أن الآية تنتظم العلماء والأمراء:

العلماء يبلغون شريعة الله ويعلمون الناس ويفتون الناس ويفتون الحكام والحكام ينفذون، ينفذون هـــٰذا العلم الذي يحمله العلماء ويبلغونه، فالآية تشملهم.

ولهذا يقول ابن القيم: إن طاعة الأمراء واجبة وطاعة العلماء واجبة.

العلماء إذا قالوا: قال الله، قال رسول الله، في عقيدة أو في عبادة أو في عمل، في حلال في حرام، إذا قالوا: قال الله قال رسول الله، وأفتوا بمقتضى الكتاب والسنة، وحكموا بمقتضى الكتاب والسنة، فعلى الناس أن يطيعوهم فيما ذلك الأمراء.

والأمراء إذا أمروا بطاعة الله الموافقة لشرع الله فعلى الناس أن يطيعوهم.

الشاهد أن كثيرا من النّاس لا يعرفون لأهل العلم مترلتهم، ويقولون: ليس لكم وصاية علينا، وليس فيكم باباوات، وليس فيكم كذا وكذا.

هـــٰذا إسقاط للعلماء وإهانة للعلماء، وزحزحة لهم عن مترلتهم، هـــٰذا الدّاء الوبيل، منذ جاءت القوية وجاء الغزو الغربي، وجاءت الأفكار الهدّامة من ناصرية وبعثية وقومية ووطنية، رؤساء هـــٰذه المبادئ الخبيثة سعوا سعيا حثيثا في إسقاط الإسلام وتنحيته عن طريقهم، ولا يتمّ ذلك لهم إلا بإسقاط العلماء، فأخذ هٰؤلاء المجرمون بالمقولة اليهودية الخبيثة: إذا أدت أن تسقط فكرا فأسقط صاحبها. فانتشر هـــٰذا الداء في الأحزاب المنتمية إلىٰ الإسلام، فتراهم جادين في إسقاط العلماء فيصفونهم بالعملاء وبالجواسيس وبذيل بغلة السلطان، وبغير ذلك من الألقاب الخبيثة، كل ذلك للإسقاط العلماء وخاصة علماء المنهج السلفي الذي يقول للمصيب أصبت وللمخطئ أخطأت وللمبطل أبطلت وللضال ضللت وللمنحرف انحرفت، ليس فيه مجاملة وليس فيه مداهنة؛ لأنه ميراث الأنبياء الذين جاءوا بالحق وبه يعدلون، ينصرون دين الله وينشرونه في الأمم، وينشرون العدل والإحسان والخير والبر، ويحاربون المنكرات والفواحش، يحاربون الشرك والضلالات والبدع والخرافات والشركيات.

وهؤلاء الأحزاب لا همّ لهم إلا الوصول إلىٰ الكراسي، فيتغاضون عن الشركيات وعن البدع والضلالات، ويرفعون شعارات برّاقة خلبت عقول الشباب عقولا كثيرة وكثيرة وكثيرة جدا أصبحوا

ينظرون للعلماء بأنهم خونة وبأنهم عملاء وبأنهم جواسيس وبأنهم وأنهم.. إلى آخر الألقاب القبيحة التي عجز عنها رؤساء الضلال في الماضي، وتلقّفها هٰؤلاء الرافعين للشؤون الإسلامية تلقفوها من البعثيين والشيوعيين والباطنيين وغيرهم، وقذفون بها علماء الإسلام.

فيا أيها الشباب احذروا هٰؤلاء الذين يتظاهرون بالغيرة على الإسلام، وهم أول ما يحملون أساسيات الإسلام وأصول الإسلام، ومبادئ الإسلام التي لا يقومون إلا بها، العقائد الصحيحة في أسماء الله وصفاته، والبعث والجنة والنار وعذاب القبر وغيره، والعقائد في أسماء الله وصفاته والعقائد في عبادته وتوحيده بأنواع التوحيد.

هٰؤلاء لا يرفعون رأسا بهذه الأمور التي هي محور دعوات الأنبياء جميعا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فيقول ابن القيم: إن احترام العلماء ومحبتهم وطاعتهم في طاعة الله أمر شرعه الله وأمر أوجبه الله.

وأقول: يجب على الأمة أن تعترف بمكانة العلماء، وتعرف لهم منزلتم، وتعرف أنه يجب عليهم محبتهم، وطاعتهم وأن بغضهم بغضا لدين الله، وبغض لحملة هــٰذا الدين البغض للعلماء يؤدي بغض العلم الحق الذي ورثوه عن الأنبياء.

فيا ويل من يبغضهم ويبغض عقائدهم، وقد شاع في هــٰذه الأيام رفض ما عند العلماء بالمقولة المبطلة التي ظاهرها الحق وباطنها الباطل والشر، (لا أقلد) ، تجده جاهلا لا يفهم شيئا من دين الله وهو أشد الناس حاجة إلىٰ تقليد العلماء فضلا عن اتباعهم.

هناك تقليد، هناك اتباع، هناك إنسان غبي يحتاج إلىٰ التقليد والتقليد ضرورة من ضروراته، فعليه أن يقلد العلماء.

وطالب علم يستطيع أن يدرك بواسطة الدليل أن هــٰذا العالم على صواب، فيتّبع العالم صاحب الدليل، وهــٰذه درجة فوق التقليد، ودون درجة المجتهد.

فالذي يقول: لا أقلد، لا أقلد، هل يريد بنفسه –وقد يكون عاميا جاهلا وقد يكون فاجرا خبيثا– يريد الطعن في العلماء والتنفير عنهم بمثل هــٰذه الأساليب الماكرة.

فليحذر الشباب أن يقعوا في شبكة هٰؤلاء السفهاء الذين يطعنوا في العلماء طعونا مغلفة، أنا لا أقلد فلانا، يا أخي من أمرك بالتقليد إن كنت طالب علم؛ لكن إذا كان هــٰذا العالم الذي تقول لا

أقلده عنده حق، هل يجوز أن ترفض الحق الذي عندهم بهذه الهلوسة التي تسميها تقليدا وتريد بها باطلا؟

أنا أحذر الشباب من هـــٰذا الأسلوب الخسيس، كثر وكثر وشاع في أشباه العوام وأحق من العوام أخلاقا ودينا وخلقا، تفشى هـــٰذا الداء في نفوس كثير من الناس، لا أقلد، لا أقلد، ترى في الانترنت، وترى في الساحات، لا أقلد، هو جاهل حتى التقليد لا يحسنه، فضلا عن الاتباع، فضلا عن الاجتهاد.

فأنا أنصح الشباب ان يتأدبوا وأن يتواضعوا وأن يحترموا العلماء، وأن يخفوا هـــٰذه اللهجة السيئة التي يرددونها كما كان الخوارج يرددون (لا حكم إلا لله) فيقول علي: كلمة حق أريد بها باطل.

وإني لأقسم بالله على حسب تتبعي أن هٰؤلاء يريدون بها باطلا، يريدون بها باطلا، ويريدوا أن ينفض الشباب على العلماء.

فقاتل الله أهل الكيد والمكر وصرف الله كيدهم ومكرهم عن هـــٰذه الأمة وعن هـــٰذا الدين، فلا يخرج الشباب من دوامة إلا يقعون في دوامة أخرى، ولا يخرجون من حفرة إلا ووقعوا؛ لأن أهل الشرور وأهل الفتن في الخفاء ومن وراء الكواليس -كما يقال- يديرون دمى ويحركونها بمواجهة المنهج السلفي.

فالأخوان المسلمون والقطبيون من أين يتلقفوا هـــٰذه الأفكار من هـــٰذه البلاد، وفكرة جهيمان، وفكرة عبد الرحمـــٰن عبد الخالق، وفكرة الحداد، وفكرة المغراوي، والفكرة الآن التي نعيشها كلها ذيول لفتن الإخوان المسلمين.

من فتن جهيمان إلىٰ الآن كلها ذيول لفتنة الإخوان المسلمين الذين محورهم الأساسي، إسقاط العلماء؛ ولكن يتخذ لبوسا شتى وأشكالا شتى باسم الإخوان تارة باسم كذا، وتارة باسم التصوف، وتارة باسم السلفية.

وأخطرها هـــٰذا اللباس لباس السلفية، عجزوا عن مواجهة المنهج السلفي باسم التبليغ وباسم الإخوان، عجزوا، فلبّسوا لنا هـــٰذه الدمى باسم السلفية، ثم يأتي يتحدى العلماء.

الحداد ما عرف العلماء ولا جالسهم ولا أخذ عنهم، ويبغضهم ويحقد عليهم أشد الحقد.

عبد الرحمـــٰن عبد الخالق قال: إن علمهم قشور. وقال: إنهم طابور محنط وقال: إن عقيدتهم سلفية تقليدية لا تساوي شيئا.

وتأتي عبارات القوم لا بهذه المواجهة؛ ولكنها بأساليب شتى وتحت ألبسة شتى، والمكيدة هي المكيدة يديرها من يديرها، لعل جهة واحدة التي تديرها جهات خفية تحارب المنهج السلفي.

ولهذا ترى فوجا بعد فوج وكل من قطع قرنا من قرون الشيطان خلفه قرن آخر، كلها ترجع إلى ثور خبيث. فنسأل الله العافية.

أنصح الشباب أن يحترموا العلماء الموجودين لا يقولوا: إن الألباني وابن باز والعثيمين ذهبوا، العلماء الموجودين هيئة كار العلماء الشيخ العباد وإخواننا العلماء يجب أن يحترموهم جميعا وأن يوقرهم وأن يعرفوا لهم قدرهم، بارك الله في الشباب، ووالله لا ينجحون إلا إذا ساروا وراء العلماء، لن ينجحوا في هـــٰذه الحياة، ولن ينجحوا في تربية، ولن ينجحوا في توجيه إذا كانوا يحملون مثل هـــٰذه الروح الشيطانية التي يحملها بعض الأفراد.

نسأل الله أن يستأصل شأفتهم أو يهديهم ويأخذ بنواصيهم إلىٰ الحق والصواب.

لقد امتلأت المواقع بهذه اللهجات السيئة، ولقد سمعنا من يقول في هـــٰذه المواقع: إلىٰ الجحيم خالدا فيها مخلدا أبدا، ومن يقول الجامية. ومن يقول: الجامية، ومن يقول: المدخلية، ومن يقول: الحدادية. كل هـــٰذه الألقاب كلها يعني القصد منها تشويه النهج السلفي وأهله، وتنفير الناس منه، وكلهم يدعون الاجتهاد وهم مساكين، والله لا يعرفون الإسلام حق المعرفة لا عقائده ولا شرائعه.

والإنسان يأخذ بطرف من العلم ولا يعرف أساسياته ويطلع منتفخا كالهر يحكي صولة الأسد، عامي يصول على العلماء ويستنقصهم وتصدر الفتاوى من عشرات العلماء فيسقطونه، عدنان عرعور قال عن العلماء لما أفتوا ضده: ولو كانوا بالآلاف لوضعتهم تحت قدمي، وشعب الله المختار الذي خرج من دبر آدم. قال: هـــٰذا بعدما صدر فيه الفتاوى، والمغراوي صدرت فيه فتاوى فأهان المفتين.

فصاروا أسوأ من الإخوان المسلمين وهم يتدثّرون لباس السلفية، فهٰؤلاء أشد، عبد الرحمـــٰن عبد الخالق سمعتم ما قال، والحداد كان يطعن طعان شديدا في العلماء ويتسلى ويتستر بطائفة ابن حجر والنووي وأمثالهم ليصل إلىٰ غايته وهو إسقاط العلماء الموجودين.

فالمسألة مكايد سياسية من هٰؤلاء الذين يقولون: نحن نعرف وخصوصا الأعداء ونحبط خططهم وهم يعرفون الأعداء، فيقلبونها على المسلمين، تلك الخطب التي تعلموها من البعثيين والشيوعيين والعلمانيين خصوصا العداوة، ويدعون ويدركون خصوصا العداوة، ما عرفنا أنهم أسقطوا عشر

معشار خطة من الخطط؛ ولكنهم يخططون وينفذون خططهم في بلاد المسلمين في المساكين الذين لا يدركون خطط هٰؤلاء ولا مكايدهم، وإن مكايدهم تحتاج إلىٰ ذكاء.

فيا أيها الطلاب كونوا أذكياء، وتستعملوا مع هٰؤلاء (لست بالخب ولا الخب يخدعني).

أنا استطردتُ في هــٰذه المواضيع الآن لأنها بنات الساعة وفتن الساعة، ولابد من التعريج عليها والتحذير منها.

أنا أتكلم عن العلماء فنريد من الشباب أن يعيدوا للعلماء مكانتهم واعتبارهم التي سعى الإخوان المسلمين وفصائلهم وذيولهم إلىٰ تنحيتهم عن المكانة التي أحلّهم الله فيها وأحلّهم فيها رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحلّهم المنهج الإسلامي وأهل السنة الصحيحة الذين يعترفون بهذا الفضل ويلتفون حولهم ويدعمونهم في الشدائد الأهوال، وأولئك يخذلونهم عند كل شدة وعند كل فتنة وعند كل محنة.

نسأل الله أن يوفق الشباب لاحترام العلم الصحيح والعلماء -علماء أهل السنة والجماعة- وأن يرزقهم البصيرة في الوقوف الصحيح في مواجهة هــٰذه الفتن.

إن ربنا سميع الدعاء وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته